حولية الكوفة

دورية سنوية، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به . العدد السادس . شهر شوال . ١٤٣٧ هـ / تموز . ٢٠١٦ م

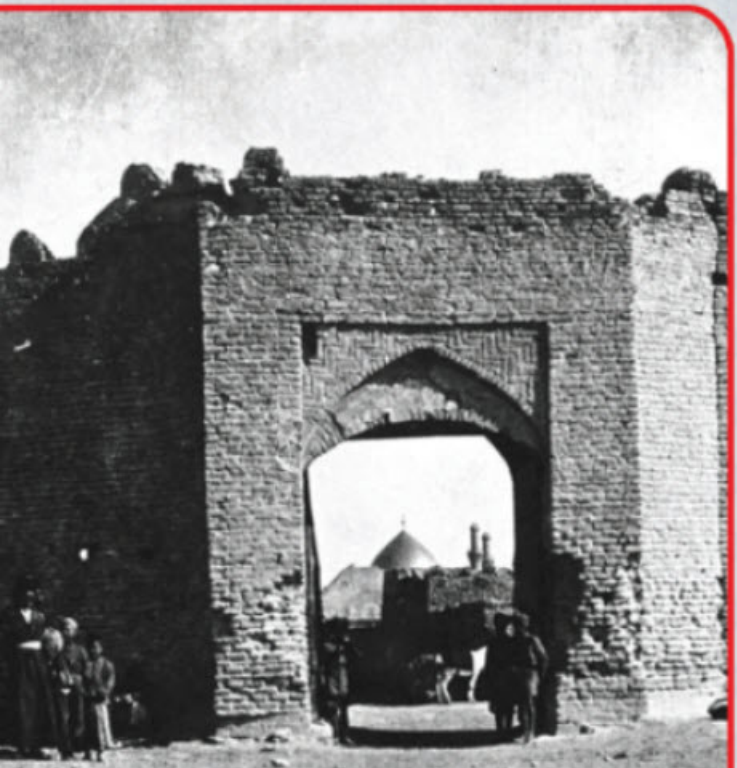

عدد ممتاز

بمناسبة ختام فعاليات عام الامام علي (عليه السلام)

٦

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

رئيس التحرير
د. كامل سلمان
الجبوري

تنزيه المختار

العلامة السيّد عبد الرزّاق الموسوي المقرم

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين، والصّلاة على خير خلقه نبينا الأكرم محمّد(صلى الله عليه وآله) وآله المعصومين، وبعد فيما أنّ القارئ لكتابنا «زيد الشّهيد» يقف في غضونه على ذكر المختار بن أبي عبيد الثّقفي الّذي أهدى أمّ زيد «الحوراء» إلى الإمام السّجاد(عليه السلام)، ولعله يتلجلج في صدره ما كثر من الجلبة واللغط حول مقام المختار النّزيه عن كلّ ما يشين موالاته لأهل البيت، وحيث أنّ جميعها من رواة الباطل وحملة الأكاذيب حتم علينا العلم والعرفان إبداء الملاحظات عليها طلباً للحقيقة وخدمة لأهل البيت بالإحسان إلى تلك الذّات الّتي تحملت القذف من أعداء آل محمّد(صلى الله عليه وآله)، وكابدت الجهود في استئصال كافة الأهواء وحلفاء المطامع وطهرت الأرض من أولئك الأرجاس قتلة أولاد النّبيين.

وإليك كلمات ضافية تشف عن إنّ هذا البطل المحبوب لم يندفع إلى ما عاناه من المشاق والغوص في أوساط المعامع والحروب الطّاحنة والضّرب في أعراض زبانية الفساد، إلا بدافع ديني، ألا وهو ولاؤه الخالص، وإيمانه المحض بائمّة أهل البيت(عليهم السلام)، فكان يرى من واجبه الدّيني اجتياح ما هناك من أصول الجور وجراثيم النّفاق، فلا يذهب ثار الله تعالى وتراً موتوراً، وهنا نستطرد شيئاً من سيرته مقدمة للبحث، وإيقافاً للقارئ على حقائق راهنة:

تعريف المختار:

هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عوف بن عبدة بن عوف بن ثقيف الثّقفي، ولد عام الهجرة، وأمّه دومة بنت وهب بن عمرو بن معتب تزوجها أبو عبيد بعد امتناعه من التّزويج بنساء قومه، لرؤيا رآها في المنام، كأنّ قائلاً يقول له: تزوج دومة فما تسمع للائم بها لومة، فأخبر أهله وتزوجها، فولدت له المختار وأنجبت به، وجبراً، وأسيداً، وصفية[1]، وأبا جبر، وأبا الحكم، وأبا أمية[2]، وكني المختار أبو إسحق أحد أولاده وهو ومحمّد أمّهما أمّ ثابت بنت سمرة بن جندب الفزاري، وله عقب كثير بالكوفة من زوجاته الآخر[3]، ويلقب كيسان، وسببه على ما يحدث به الأصبغ بن نباته: إنّ أباه جاء به إلى علي(عليه السلام) وهو صغير فأجلسه على فخذه وقال له وهو يمسح على رأسه: «يا كيس يا كيس»[4].

إنّ هذه الكلمة من علي تملي علينا درساً بليغاً ومعرفة تامة في نظرته البعيدة الصّادقة ومغيباته الواقعة، فيما يظهر على يد المختار من مظاهر السّداد وأفعال ذوي الحجى من الأخذ بحقهم، وطلب ترتهم المشفوع ذلك بالحزم والكيس، فهو من أبناء الغيب ومختبآت المستقبل، ونستنتج من تدوينها وتحمل روايتها والاهتمام بها، واشتقاق لقبه منها، أنّها اكتنفت لما لفظها(عليه السلام) من فيه بما دل على أنّها أشربت رمز مستقبله، وألمعت إلى الحوادث الّتي يقوم بها وكشفت حاشية من السّتر المرخى على ذلك السّر الإلهي، فهي إمّا نبوة، أو فراسة، ومن البعيد الغريب أنّه(عليه السلام) يريد أن يصف ذلك الطّفل الصّغير الّذي أجلسه في حجره ومسح على رأسه بمؤدى هذه الكلمة في عهد الطّفولة، فإنّه مما يأباه الوجدان وتحكم ببطلانه البداهة.

لقد كان المختار يحسب لهذه البشارة حساباً ويحدث نفسه بها، والأحاديث الّتي أوردها ابن نما تدلنا بكلّ وضوح

---

(1) معارف ابن قتيبة ص(صلى الله عليه وآله)

(2) أخذ الثّار لابن نما.

(3) المعارف ص(صلى الله عليه وآله)

(4) رجال الكشي يترجمه المختار.

على اعتقاد المختار بمغزى تلك الكلمة الّذي حاوله الإمام «علي»، وإليك الأحاديث:

أ- أنّ المختار لقي معبد الجدلي «جديلة قيس»، فقال له: يا معبد أنّ أهل الكتب ذكروا أنّهم يجدون رجلاً من ثقيف يقتل الجبارين وينصر المظلومين ويأخذ بثأر المستضعفين ووصفوا صفته فلم يذكروا صفة في الرّجل إلا وهي فيه غير خصلتين أنّه شاب وقد جاوزت السّتين، وأنّه ردي البصر وأنا أبصر من عقاب، فقال معبد، إمّا السّن فإنّ ابن السّتين والسّبعين عند أهل ذلك الزّمان شاب، وإمّا بصرك فما تدري ما يحدث الله فيه ولعلّه يكل قال عسى ذلك.

ب- إنّ ابن زياد حبس المختار وميثم التمار وعبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب الملقب «ببه»، فطلب عبد الله حديدة يزيل بها شعر بدنه، وقال: لا أمن من ابن زياد القتل فأكون قد ألقيت ما على بدني من الشّعر، فقال المختار والله لا يقتلك ولا يقتلني، ولا يأتي عليك إلا القليل فتلي البصرة، وميثم التمار يسمعها، فقال للمختار: وأنت تخرج ثائراً بدم الحسين(عليه السلام) فتقتل هذا الّذي يريد قتلنا، وتطأ بقدميك على وجنتيه، فكان الأمر كما قالا، ولي عبد الله البصرة، وخرج المختار طالباً بثار الحسين(عليه السلام)[1].

ج- ساير المختار المغيرة بن شعبه أيام ولايته من قبل معاوية فمرّ بالسّوق فالتفت المغيرة يخاطب المختار ويقول: يا لها غارة ويا له جمعاً إني لأعلم كلمة لو نعق لها ولا ناعق لها لا تبعوه ولاسيّما الأعاجم الّذين إذا ألقي إليهم الشّيء قبلوه، فقال له المختار: وما هي يا عم، قال يستأدون بآل محمّد(صلى الله عليه وآله) فأغضى عليها المختار.

لم تزل هذه الكلمة تتردد في نفسه حتّى أصاب لها موقعاً فإنّه بعد قتل الحسين أخذ ينشر فضل آل محمّد(صلى الله عليه وآله)، ويتوجع لما أصابهم.

وكان على يقين من تحقق تلك البشائر معتقداً أنّ المولى سبحانه وتعالى سيوليه تلك المكرمة مؤيداً بنصره عند ما يرفرف على رأسه طائر الظّفر ويخفق أمامه علم الفتح.

ومن هنا نشاهده يقول للصعقب بن زهير الأزدي وقد اجتمع به في «واقصة» بعد أن أطلقه ابن زياد وأمره بالخروج من الكوفة إلى الحجاز فقال له الصعقب مالي أرى عينك على هذا الحال، قال فعل بي ذلك ابن زياد قتلني الله إن لم أقتله وأقطع أعضاءه، ولأقتان بالحسين عدد الّذين قتلوا بيحيى بن زكريا وهم سبعون ألف، ثمّ قال: والّذي أنزل القرآن وبيّن الفرقان وشرّع الأديان وكره العصيان لأقتلن العصاة من أزدعمان، ومذحج وهمدان، ونهد خولان، وبكر وهران، وثعل ونبهان، وعبس وذبيان، وقبائل قيس عيلان غضباً لابن بنت الرّحمن، وحق السّميع العليم العظيم العدل الكريم الرّحمن الرّحيم لأعَركن عَرك الأديم بني كندة وسليم والأشراف من تميم.

نشأته:

نشأ المختار شريفاً في نفسه عالي الهمة كريماً[2] مقداماً شجاعاً مجرباً لا يتقي شيئاً ويتعاطى معالي الأمور، قوي النّفس شديداً على الأعداء، وكان ذا عقل وافر ورأي مصيب خصوصاً بقواعد الحرب والغلبة على العدو كأنّه مارس التّجارب فحنكته لابس الخطوب فهذبته ممزوجاً بنباهة واستحضار للجواب وسخاء موفور، ولا بدع في كلّ ذلك لمن تفرع من تلك الشّجرة «العظيمة في القريتين»[3]، وتربى في حجر كبير من كبراء المسلمين وقائد فاتك من قوادهم (أبي عبيد بن مسعود) المقتول يوم الجسر في جيش سيّره بقيادته عمر بن الخطاب لمحاربة الفرس في السّنة الثّالثة عشرة من الهجرة، وكان اللّواء بيده ولما قتل أبو عبيد أخذ اللّواء أخوه الحكم فقتل، فأخذه ابنه جبر فقتل[4] وفي هذه الوقعة كان المختار يتفلت للقتال فيمنعه عمه سعد بن مسعود.

انقطاعه إلى بني هاشم:

انقطع إلى بني هاشم ولازم أهل البيت فاستفاد منهم أدباً جمّاً وأخلاقاً فاضلة وناصح لهم في السّر والعلانيّة ومن ذلك نزول (مسلم بن عقيل) في داره لما ورد الكوفة وبيعته له، ولم

---

(1) أخذ الثّأر لابن نما، وعبد الله هذا ابن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، يلقب ببه بباءين مفتوحين مع تشديد الثّانية، وهو حكاية صوت صبي كانت أمّه هند بنت أبي سفيان ترقصه بذلك الصّمت، ولد في حياة النّبي(صلى الله عليه وآله) وتوفي سنة ٦٠هـ قتلته السّموم ودفن بالأبواء، وقيل توفي سنة ٦٥هـ بعمان عند انقضاء فتنه الأشعث خرج إليها هارباً من الحجاج، واستعمله عثمان بن عفان على مكّة وبعد هلاك يزيد بن معاوية بايعه أهل البصرة وبقي أميراً عليهم سنة ثمّ عزل ولما تمت البيعة لابن الزّبير صعد المنبر يبايع له ولم يزل كذلك حتّى نعس فجعل يبايعهم وهو نائم مادا يده فقال سحيم بن وثيل اليربوعي «بايعت أيقاظاً فأوفيت ببيعتي، وببه قد بايعته وهو نائم»، خلف من الولد ثلاثة، عبد الله، وعبيد الله، وإسحاق.

(2) الفخري ص٧٩

(3) في معارف ابن قتيبة ص٣٩٠ كان جدّه مسعود هو المراد من قوله تعالى ﴿وَقالُوا لَوْ لا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾.

(4) فتوح البلدان للبلاذري ص٤٠٧ وفي تاريخ الطّبري ج٦ ص٥٧٩ تتابع على حمل اللّواء بعد أبي عبيد سبعة من ثقيف كلّهم ماتوا تحت اللّواء ولم يسمهم

يمنعه من الخروج معه إلا تعجل مسلم الخروج قبل الأجل الّذي كان بينه وبين أصحابه، وكان المختار آنئذ في قرية لـه تـدعى «القفا» فبلغه ما جرى على مسلم فجاء بمواليه إلى الكوفة يحمل راية خضراء ومعه عبد الله بن الحارث رافعاً لواء أحمر فـانتهى إلى باب «الفيل» ووضح لديهما قتل مسلم وهاني وأشير عليهما بالدّخول تحت راية «عمرو بن حريث» ليسلما على دمهما ففعـلا وحفظ دمهما ابن حريـث بـشهادته عنـد ابـن زيـاد باجتنابهمـا مسلم بن عقيل فقبـل منـه بعـد أن شـتم المختـار واسـتعرض وجهه بالقضيب فشتر عينـه ثـمّ أمـر بهمـا فـسجنا وبقيـا فـي السّجن إلى أن قتل الحسين(عليه السلام) فكتب المختار إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب وكان زوج أخته «صفية» أن يشفع له عنه يزيد بن معاوية ففعل وشـفعه يزيـد وأمـر ابـن زيـاد بإطلاقـه مـن السّجن بعد أن أجله بالكوفة ثلاثاً ليخرج إلى الحجاز وإلا أعاده إلى السّجن، وتشفعت هند بنت أبي سفيان بابنهـا عبـد الله ابـن الحارث فأطلق من السّجن.

اجتماعه بابن الزّبير:

لما أطلق المختار من سجن ابن زياد وعرف أنّ لا بقاء لـه في الكوفة لم ير بداً من الـذّهاب إلـى الحجـاز والاجتمـاع بـابن الزّبير لخروجه عن طاعة يزيد بن معاويـة وإن لـم يوافقـه فـي المبدأ، لأنّه علوي الرّأي وابن الزّبيـر عثمـاني العقيـدة، غيـر أنّ الظّروف ألجأته على الإقامة معه خمسة أشـهر، ولـم تفتـه فـي هذه المدة محاربة أهل الشّام وله في ذلك المقام المحمود.

عوده إلى الكوفة:

وبعد موت يزيد فارق ابن الزّبير ورجع إلى الكوفة للطلب بدم «شهيد الطّف»، لأنّ هنالـك مجتمـع أعدائـه عبـدة الأهـواء والمطامع.

وأوّل شيء أظهره بالكوفة حسن السّيرة، والتّـأليف بـين النّاس كيلا تنذر منه أعداؤه فيفوته المقـصود مـن الأخـذ بثـأر الحسين، والتف حوله ممن لم يشاهد حرب الحسين عدد كثيـر لقبوا بالحسينية[1]، وبايعوه على كتاب الله وسـنة نبيـه والطّلـب بدم الحسين والدّفع عن الضّعفاء[2].

ولما استتب له الأمر خطب أصحابه، وفيما قـال لهـم «مـا من ديننا ترك قوم قتلوا الحسين يمشون أحياء في الدّنيا اطلبوا لي قتلة الحسين فإنّه لا يسوغ لي الطّعام والشّراب حتّـى أطهـر الأرض وأنقي المصر منهم».

(1) مروج الذّهب عليه السلام/صلى الله عليه وآله.

(2) أمالي الشّيخ الطوسي وكامل ابن الأثير رحمه الله/رضي الله عنه.

وهذه نفسية المختار الّتـي انـدفع إلـى الهتـاف بهـا بـدافع الولاء الّذي انطوت عليه أحشاؤه على حين أنّ الظّروف لم تكـن تساعده على هذه المصارحة لكون جملة من التف حوله لا يرى علياً أوّل الخلفاء، ومنه نعرف الأهمية فـي دعـوة المختـار الّتـي اتخذها أمام النّاس للاجتماع وإتمام البيعة.

نهضته بالكوفة:

نهض المختار بالكوفة لأربع عشرة ليلـة خلـت مـن ربيـع الأوّل سنة ست وستين، وبقي إلى شهر رمضان من سنة سبع وستين، فكانت ولايته ما يقارب الثّمانية عشر شـهراً، فجـد فـي الأمر وبالغ في النصرة وتتبع أولئك الأرجـاس، فقتـل علـى مـا يحدث «ابن نما» ثمانية عشر ألفاً ولكثرة الفتك والقتل هرب إلى البصرة من أشراف الكوفة زهاء عـشرة آلاف رجـل والتحقـوا بمعصب[3] وكان فيهم شبث بن ربعي جاء راكباً بغلة قـد قطـع ذنبها وقطع أطراف أذنيها في قباء مشقوق وهو ينادي واغوثـاه فقال الأشراف لمصعب[4] سر بنا إلى محاربة هذا الفاسق الّذي هدم دورنا وأخذوا يحرضونه على ذلك.

حصاره بقصر الإمارة:

بالرّغم من ذلك الجد والجهد شاءت الأقدار أن يحاصره ابـن الزّبير بقصر الإمارة مع أربعمائة رجل من أصحابه ثلاثـة أيـام[5] وفي الأخبار الطّوال أربعين يوماً حتّى فني طعامهم، وكان معه فـي القصر صاحب رسول الله(صلى الله عليه وآله) أبو الطفيل عـامر بـن واثلـة ولمـا اشتد الأمر رمى بنفسه من القصر وأفلت فلم يقتل وقال[6]:

لمـــا رأيـــت البـــاب قـــد حيـــل دونـــه
تكـــسرت باســـم الله فـــيمن تكـــسرا

ولأربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان خرج المختار بمـن معه مستميتين فقتلوا وقتل المختار عند موضع «الزيـاتين» أخـوان من بني حنيفة يقال لأحدهما طارف والآخر طريف ابنا عبد الله بـن دجاجة[7]، وجاء برأسه إلى مصعب بن الزبيـر فأجازهمـا بثلاثـين ألف درهم، ثـمّ قطـع كفـه وسـمرها إلـى جنـب المـسجد الأعظـم بمسمار حديد، واستمرت على هذا الحال إلى أن اسـتولى الحجـاج فذكرت له فأنزلها وكفنها ودفنها، ثمّ بعث مصعب الرّأس إلى أخيـه عبد الله فلم يدفع لحامله شيئاً وقال له خذ الرّأس جائزتك.

(3) الأخبار الطوال ص صلى الله عليه وآله.

(4) تاريخ الطبري رحمه الله/صلى الله عليه وآله.

(5) الفرق بني الفرق ص رحمه الله.

(6) الأغاني صلى الله عليه وآله/عليه السلام رحمه الله.

(7) هذه رواية الدينوري وفي معارف ابن قتيبة ص رحمه الله رضي الله عنه قتلة صـراف بـن يزيـد الحنفي.

مصعب وحرم المختار:

لما قتل المختار تتبع مصعب أصحابه بالكوفة فقتل من الناهضين معه سبعة آلاف رجل كلّهم خرجوا للطلب بدم الحسين(عليه السلام)[1]، ثمّ بعث على حرم المختار ودعاهن إلى البراءة منه ففعلن إلا امرأتان له إحداهما أم ثابت بنت سمرة بن جندب الفزاري وثانيتهما عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري، قالتا: كيف نتبرأ من رجل يقول ربي الله وكان صائماً نهاره قائماً ليله، قد بذل دمه لله ولرسوله(صلى الله عليه وآله) في طلب قتلة ابن بنت رسول الله وأهله وشيعته فأمكنه الله منهم حتّى شفى النّفوس، فكتب مصعب إلى أخيه عبد الله يخبرهما، فكتب إليه إن رجعتا عما هما عليه وتبرأتا منه وإلا فاقتلهما فعرضهما مصعب على السّيف فرجعت ابنة سمرة بنت جندب ولعنته وتبرأت منه وقالت: لو دعوتني إلى الكفر مع السّيف لأقررت أشهد أنّ المختار كافر، وأبت ابنة النّعمان بن بشير وقالت: شهادة ارزقها ثمّ اتركها كلا إنّها موتة ثمّ ا لجنة والقدوم على الرّسول وأهل بيته، والله لا يكون أنّي مع ابن هند فاتبعه واترك ابن أبي طالب، اللّهم اشهد أنّي متبعة نبيك وابن بنته وأهل بيته وشيعته[2]، فأمر بها مصعب فأخرجت إلى ما بين الحيرة والكوفة وقتلت صبراً وفي قتلها يقول عمر بن أبي ربيعة القرشي[3]:

إنّ من أعجب العجائب عندي
قتل بيضاء حرة عطبول
قتلت هكذا على غير جرم
أنّ لله درها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا
وعلى المحصنات جر الذّيول

وقال سعيد بن عبد الرّحمن بن حسان بن ثابت في ذلك:

أتى راكب بالأمر ذي النّبأ العجب
بقتل ابنة النّعمان ذي الدّين والحسب
بقتل فتاة ذات دل ستيرة
مهذبة الأخلاق والخيم والنّسب
مطهرة من نسل قوم أكارم
من المؤثرين الخير في سالف الحقب
خليل النّبي المصطفى ونصيره
وصاحبه في الحرب والنكب والكرب
أتاني بأنّ الملحدين توافقوا
على قتلها لأجنبوا القتل والسّلب
فلا هنأت آل الزّبير معيشة
وذاقوا لباس الذّل والخوف والحرب
كأنّهم إذ أبرزوها وقطعت
بأسيافهم فازوا بمملكة العرب
ألم تعجب الأقوام من قتل حرة
من المحصنات الدّين محمودة الأدب
من الغافلات المؤمنات بريئة
من الذّم والبهتان والشّك والكذب
علينا كتب القتل والبأس واجب
وهن العفاف في الحجال وفي الحجب
على دين أجداد لها وأبوة
كرام مضت لم تخز أهلاً ولم
ترب من الخفرات لا خروج بذية
ملايمة تبغي على جارها الجنب
ولا الجار ذي القربى ولم تدري ما الخنا
ولم تزدلف يوماً بسوء ولم تخب
عجيب لها إذ كفنت وهي حية
إلا أنّ هذا الخطب من عجب العجب.

موضع دفنه:

بقي المرقد المطهر حقباً من الزّمن مندرس الآثار قد عبثت به أيدي رجال ما زالوا ولن يزال أعقابهم يهتفون بالقدح في نفسه الزاكية ويضعون الحديث إثر الحديث في الحط من كرامته وتلويث ذاته الطّاهرة، وبالرّغم من كلّ دعاية باطلة قيض الله سبحانه وتعالى بعض أوليائه الصّالحين للبحث والتّفتيش عن ذلك المرقد المقدس، وهداه بنور لطفه على موضع جسده الزّكي.

لقد شاعت الآثار وتواتر النّقل بين ذوي الفضل ومن لهم لوقوف والخبرة بمساعي العلماء المشكورة، إنّ العلامة الشّيخ عبد الحسين الطّهراني لما تشرف بالأعتاب المقدسة بالعراق، ونهض بعمارتها أخذ يفحص عن مرقد المختار في مناحي

---

(1) في تاريخ الطبري رضي الله عنه/صلى الله عليه وآله لقى عبد الله بن عمر مصعب بن الزبير فقال له: أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة قال: نعم وأنّهم كفرة سحرة فقال ابن عمر: والله لو قتلت عدتهم غنماً من تراث أبيك لكان ذلك سرفاً.

(2) مروج الذّهب رضي الله عنه/صلى الله عليه وآله.

(3) تاريخ الطّبري رضي الله عنه/صلى الله عليه وآله، ولم يخالفه الدينوري في روايتها إلى في صدر البيت الثّاني ففي روايته «قتلوها بغير ذنب سفاهاً» وفي رواية المسعودي «قتلوها ظلماً على غير جرم»، وأبدل في عجز البيت الثّالث المحصنات بالغانيات، وللعقد الفريد رضي الله عنه/صلى الله عليه وآله خلاف في الأبيات.

مسجد الكوفة لتجديد عمارته، وكانت علامة قبره في صحن «مسلم بن عقيل» الملاصق، «للجامع الأعظم» فوق الدكة أمام حرم «هاني بن عروة» وبعد أن حضر الموضع ظهرت فيه آثار تدل على أنّه كان حماماً، فعفي الأثر وأخذ في الفحص والتّفتيش وبينا هو بهذا الحال أفاده العلامة السّيد رضا ابن آية الله السّيد محمّد مهدي بحر العلوم قدس سره: أنّ أباه أخبره بأنّ مرقد المختار في الزّاوية الشّرقية بجنب الحائط القبلي من مسجد الكوفة «حيث يعرف قبره الآن»، وكان السّيد بحر العلوم يأمر من حضر معه في المسجد بقراءة الفاتحة للمختار ويقف في هذا الموضع فأمر الشّيخ عبد الحسين بحفر الموضع فظهرت فيه صخرة مكتوب عليها هذا قبر المختار بن أبي عبيد الثقفي فعلم المكان وأظهر القبر وعمره، وقد نقش على جبهة الباب الّتي ينتهي منها إلى قبره «قد أمر السّيد مهدي بحر العلوم والشّيخ جعفر كاشف الغطاء بأن يشيّد هذا ضريحاً للمختار وعينا هذا الموضع قبراً له».

عقيدة المختار:

من الحقائق الرّاهنة الّتي يجب على العاقل الإذعان بها بمجرد اعتبار نهضته المقدسة الّتي كان فيها رضا الأئمة وبها استحق المدح والإطراء منهم كما ستعرف في أحاديث المدح والثّناء عليه ومنه يتجلى بوضوح كونه راسخ الولاء لأهل البيت صلب الإيمان بهم حسن العقيدة طاهر الضّمير في محبتهم وليس في دعوته لابن الحنفية اعتراف بإمامته وإنما هو لضرب من التّدبير وتمويه في السّياسة يقصد به تنزيه مقام «السّجاد(عليه السلام)» عن كلّ ثورة أقيمت ضد سلطان الضّلال وحفظاً لشخص الإمامة عن أن تناله يد السّوء والبغضاء، كما أنّ موافقة ابن الحنفية لم تكن منبعثة عن الرّغبة في الخلافة لأنّ إطاعته وتسليمه الأمر «للسّجاد» لا يختلف فيه اثنان، واستدعاؤه الإمام للمحاكمة عند الحجر الأسود من أكبر الشّواهد على نزاهته وتفننه في تنبيه النّاس لمن يجب عليهم الانقياد له وإنّما لم نشاهده غير مكذب لما نسبه إليه المختار من الإمامة فليس إلا من جهة اغتنامه الفرصة بأخذ ثاره من أولئك الطّغاة عبدة المطامع حيث عرف أنّ الأمر لا يتم إلاّ من هذا الطّريق، فمن هنا لم يكذب المختار في هذه الدّعوة بل أيده بتحريض الشّيعة على إتباعه ومساعدته على الطّلب بدم «شهيد الطّف»، ويشهد له قوله: «يزعم المختار لنا شيعة وقتلة الحسين جلساؤه على الكراسي يحدثونه»[1]، ومما تقدم ويأتي نعرف الزور فيما نسبه الشهرستاني في «الملل والنّحل» إلى ابن الحنفية من تكذيبه المختار والطّعن عليه وحثّ الشّيعة على الإعراض عنه زعماً منه تلويث ساحة المختار بتلك المفتريات وقد غفل عن أنّ «ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد».

المختار في نظر أهل البيت:

تعرفنا أحاديث أهل البيت منزلته العالية عندهم وتكشف عن ولائه الصّريح لهم، فمن تلك الأحاديث ما يحدث به الحافظ الثبت أحمد بن محمّد المعروف بابن عقدة من ترحم الصّادق عليه، ويزيد الكشي عليه نهي الإمام الباقر عن سبه ولعنه فيحدث عند ترجمة المختار في رجاله أنّه(عليه السلام) قال: لا تسبوا المختار فإنّه قتل قتلتنا وزوج أراملنا وقسم فينا المال على العسرة.

فإنّ النّهي عن سبه دليل الرّضا بفعله وحسن سريرته ولو كان الإمام يعلم منه ما يوجب الطّعن لما نهى عن سبه، كما أنّه لم ينه عن سب المضلين، وتعليله بأنّه قتل قتلتنا دال على أنّ ما فعله المختار ودعا إليه كان عن حق مبين ونية خالصة، وعلى مثل هذا جرى أباؤه الهداة مع أهل الضّلال فلم يصادقوهم على مفترياتهم ولم يوازروهم على مبتدعاتهم في حين لا تقية ولا خوف ولم يعملوا والحال هذه إلا الإصحار بالحقيقة من دون تورية أو إغماض، فهذا رسول الله(صلى الله عليه وآله) لم يصانع مسيلمة فلم يقره على دعوى النّبوة في حين أنّه لو صانعه لكفاه بعض المؤن، وهذا علي(عليه السلام) لم يسالم ابن سبأ ولم يجب طلحة والزّبير إلى الباطل، وهذا الحسن(عليه السلام) لم يمكن معاوية من أمور المسلمين إلا بعد أن ظهر له عجز المسلمين عن مقاومته، وهذا أبي الضّيم شهيد الطّف لم يسالم يزيداً.

وآثر أن يسعى على جمرة الوغى

برجل ولم يعط المقادة عن يد

ومن هذا كلّه نعرف مقام المختار عند أئمّة الهدى وأنّه لو كان مدعياً لباطل من نبوة أو إمامة لما تركوا(عليهم السلام) بيان عثرته، ولما استثاروا بإطرائه والنّهي عن سبه وإسداء الشّكر على عمله والتّأبين له والتّرحم عليه بباعث نفسي من دون ضرورة ولا تجلئة، حدث عبد الله بن شريك عن الباقر وفيه أنّ الحكم بن المختار سأله عن أبيه المختار وأنّ النّاس طعنوا فيه، فقال الباقر: «سبحان الله أخبرني أبي والله أنّ مهر أمّي كان مما بعث به المختار أو لم يبن دورنا وقتل قتلتنا وطلب بدمائنا فرحمه الله إلى أن قال مخاطباً لابن المختار رحم الله أباك رحم الله أباك رحم الله أباك».

فإنّه لو لم يكن من شيعته المقربين عنده المخلصين له في الولاء لما ترحم عليه فإنّ صدور التّرحم منه دليل استصواب نهضته بالكوفة ورضاه بتلك الدّعوة الّتي اتخذها أمام العامة

(1) تاريخ الطبري عليه السلام/صلى الله عليه وآله

كمقدمة تمهيدية لمطاردة أشياع آل أمية وزياد، ولولم يعرفه الإمام إنّه طاهر الذّيل نزيه النّفس عما يشين موالاته لهم، لما صدر منه ذلك التّرحم المتكرر ثلاثاً في حين يمكنه الإهمال والإجمال في جواب «الحكم» فيقتصر على خصوص قوله: «أولم يبن دورنا وقتل قتلتنا»، ولم يعقبه بالتّرحم غير اللائق إلا لمن اغتنم حب أهل البيت، وحمل كلام الإمام على التّقية في غير محله لأنّ «الحكم» لم يكن مالكاً من الأرض إلا موضع قدمه فأي بأس على الإمام لو أصحر بالحقيقة حينما جاءه رجل مسلم لا يريد إلا تحري واقع الحال لو كانت حقيقة غير ما أبداه الإمام.

المختار في نظر العلماء:

من هذه الأحاديث الدّالة على ترحم الإمام عليه ودعائه له بالخير المشفوع بالنّهي عن سبه ولعنه، تجلى للعلماء الأعلام صدق المختار في النّية وإخلاصه في الموالاة والدّعوة لأهل البيت، فحكموا ببراءته من تلك السّيئات الّتي قذفه بها أعداء آل محمّد(ﷺ)، وممن جاهر بذلك ابن داود في رجاله، وابن طاوس في التّحرير الطّاوسي، والعلامة الحلي في الخلاصة، والإستراباديّ في حاشيته على منهج المقال[1]، والفاضل الحائري في منتهى المقال، والسّيد مصطفى في نقد الرّجال، والمحقق الأردبيلي في حديقة الشّيعة، والسّيد يوسف بن محمّد بن محمّد بن زين الدّين في الجامع للأقوال، والحاج إبراهيم الخوئي في ملخص المقال، والسّيد حسن البروجردي في منظومته الرّجالية -زبدة المقال- والحاج ملا علي ياري التّبريزي في شرح هذه المنظومة -بهجة الآمال- والحاج ميرزا حبيب الله الخوئي في شرحه على النّهج 74/2[2]، فإنّهم اتفقوا على نزاهته من كلّ دنية، وهتفوا بصوت واحد إنّه من السّابقين الأخيار.

وعلى هذا الرّأي الكثير من الأصحاب، يحدثنا عنهم المجلسي في عاشر البحار وقد أطال ابن نما الحلي في مقدمة كتابه أخذ الثّأر الكلام في ذكر فضله وعرض بمن أعرض عن زيارة قبره مع قربه من الله تعالى وإخلاصه لأهل البيت فكأنهم عدلوا من العلم إلى التّقليد ونسوا ما فعله بأعداء فلذة كبد الزّهراء وبه خبت نار وجد النّبي الرّسول(ﷺ).

الأحاديث الذّامة:

بعد أن عرفنا مما تقدم مقدار موالاته للأئمّة الأطهار ومنزلته عند أهل بيت الحق ارتفعت عنا كلّ حيرة وشبهة فيما حمله إلينا رواة السّوء من الأحاديث الذّامة، فأنالوا صادقنا على سلامة رجالها من كلّ خدشة لكنا في فسحة من تخريجها مخرج التّقية والخوف من السّلطان وإليك الأحاديث بنصها:

أ- مستطرفات السّرائر عنكتاب إبان بن تغلب عن جعفر بن إبراهيم عن زرعة عن سماعة عن أبي عبد الله(عليه السلام) قال إذا كان يوم القيامة مر رسول الله(ﷺ) بشفير النّار وأمير المؤمنين والحسن والحسين فيصيح صائح من النّار يا رسول الله أغثني ثلاثاً فلم يجبه فينادي يا حسين ثلاثاً أغثني أنا قاتل أعدائك فيقول له رسول الله قد احتج عليك فينقض عليه كأنّه عقاب كاسر فيخرجه من النّار، قلت لأبي عبد الله الصّادق من هذا جعلت فداك فقال المختار قلت له ولم عذب بالنّار وقد فعل ما فعل قال إنّه كان في قلبه شيء منهما والّذي بعث محمّداً بالحق لو أنّ جبرائيل وميكائيل كان في قلبهما شيء لأكبهما الله في النّار على وجوههما.

ب- تهذيب الشّيخ الطّوسي عن محمّد بن علي بن محبوب عن محمّد بن أحمد بن أبي قتادة عن أحمد بن هلال عن أمية بن علي القيسي عن بعض من رواه عن أبي عبد الله الصّادق قال قال لي: يجوز على الصّراط النّبي ويتلوه علي والحسن والحسين فإذا توسطوه نادى المختار يا حسين يا أبا عبد الله إنّي طلبت بثارك فيقول النّبي(ﷺ) أجبه فينقض الحسين في النّار كأنّه عقاب كاسر فيخرج المختار.... ولو شق عن قلبه لوجد حبهما في قلبه.

ج- رجال الكشي عند ترجمة المغيرة بن سعيد عن محمّد بن الحسين عن عثمان بن حامد عن محمّد بن الحسين عن عبد الله بن محمّد الأسدي المعروف بالمزخرف عن حبيب الخثعمي عن أبي عبد الله قال كان للحسن كذاب يكذب عليه ولم يسمه وكان للحسين كذاب يكذب عليه ولم يسمه وكان المختار يكذب على علي بن الحسين وكان المغيرة بن سعيد يكذب على أبي.

د- أسرار الشّهادة للدربندي عند ذكر المختار عن سعد بن عبد الله عن محمّد بن خالد الطّيالسي عن عبد الله بن أبي بخران عن ابن سنان عن أبي عبد الله قال إنّا أهل بيت صادقون لا نخلوا من كذاب يكذب علينا فيسقط صدقنا بكذبه علينا عند النّاس إلى أن قال وكان أبو عبد الله الحسين قد ابتلي بالمختار.

بهذه الأحاديث صال من أراد التّشنيع والطّعن على المختار ولو عرفها من مبتدعات رواة السّوء وحملة الكذب لضرب بها عرض الجدار، كيف لا وفي طريق المستطرفات زرعة وهو من الواقفة المعدودين في خلاصة العلامة الحلي من قسم الضّعفاء غير المعتنى برواياتهم، وفي طريق التّهذيب رجلان أحمد بن هلال فإنّ الإمام العسكري(عليه السلام) تبرأ منه لغلوه ونصبه، وأمية بن علي القيسي فإنّه معدود عند علماء الرّجال في قسم الضّعفاء، على أنّ من تلقى الحديث عنه أمية بن علي القيسي لم يعرف لينظر في حاله، وفي طريق الكشي حبيب الخثعمي ولم يتضح المراد منه أهو الأحول المجهول أو

---

(1) .... منسوبة إليه في نسخة مخطوطة من منهج المقال.

(2) اعتمدنا في حكاية كلام المحقق الأردبيلي وما بعده من العلماء على رسالة كتبها في حياة المختار العلامة البحاثة الأستاذ ميرزا محمّد علي الأردبادي الغروي ولقد أجاد فيها غاية الجودة والإتقان وأودع في صحائفها درراً تشف عن حياة شيخ الثّار وما له في نهضته الكريمة عند أهل البيت وشيعتهم من اليد البيضاء والذّكر الخالد، ولا غرو فللأستاذ الأردبادي رسائل ممتعة ومقالات شتى منشورة وغير منشورة وكتابه «الإمام المنتظر» يمثل فضله الباهر ومكانته من الأدب والعرفان.

المعلل المقبول وما ذكر للتمييز بينهما لا يوجد ههنا، وفي طريق كتاب الأسرار محمّد بن خالد الطّيالسي وهو معدود من الضّعفاء عند النّجاشي وأمّا ابن الغضايري فشدد النّكير على الأخذ بروايته لاعتماده على المراسيل وروايته عن الضّعفاء كثيرة فحديثه يعرف وينكر.

هذا حال السّند في الأحاديث الأربعة ومعه فهل تثق النّفس بواحد منه فيعتمد عليه في المس بكرامة شيخ الثّار والحط من موالاته لأهل البيت، وهناك حديثان آخران أثبتهما الكشي في رجاله عند ترجمة المختار قد يستفيد منهما غير المتأمل الطّعن بالمختار، ولكن التّأمل الصّادق يعرفنا غرض الإمام بكلّ ما يوهم الطّعن، فالأوّل مسند عن عمر بن علي بن الحسين وفيه أنّ المختار أرسل إلى علي بن الحسين أربعين ألف دينار فقبلها وبنى بها دار عقيل بن أبي طالب ودارهم الّتي هدمت، ولما أظهر الكلام الّذي أظهره بعث إليه أربعين ألف دينا فردها ولم يقبلها.

والثّاني عن جبرائيل بن أحمد عن العبيدي عن محمّد بن عمر عن يونس بن يعقوب عن أبي جعفر(عليه السلام) قال: كتب المختار بن أبي عبيدة إلى علي بن الحسين بهدايا من العراق فلما وقفوا على الباب دخل الآذن يستأذن لهم فخرج إليهم رسوله فقال أميطوا عن بابي إنّي لا أقبل هدايا الكذابين ولا أقرأ كتبهم فمحوا العنوان وكتبوا للمهدي محمّد بن علي.

فإنّا لو لم نناقش في سند الثّاني بالعبيدي الضّعيف عند السّيد جمال الدّين بن طاوس، والمستثنى من كتاب نوادر الحكمة لابن بابويه، والمرمي بالغلو في حكاية الشّيخ الطّوسي، لأمكننا معرفة السّر في امتناع الإمام من قراءة الكتب وقبول الهدايا، فإنّه لم يمنعه إلا الخوف من السّلطان، ويشهد له قبوله الهدية قبل إظهار الدّعوة وإتمام الأمر، لأنّه لم يكن في هذا الحال خوف ولا تقية، ولو لم يحمل على هذا لزم التّناقض في فعل الإمام وحوشي مثله ارتكاب هذه المناقضات.

كيف يكذبه السّجاد(عليه السلام) وهو يدعو له كما في حديث عمر بن علي بن الحسين قال: لما أوتي برأس عبيد الله بن زياد وعمر بن سعد خرّ أبي ساجداً وقال الحمد لله الّذي أدرك لي ثاري وجزى الله المختار خيراً، فإنّ السّجاد لو كان ناقماً على المختار مكذباً لدعوته لما دعا له وكان دعاؤه عبثاً وهو منزه عن ذلك.

وأمّا ما في كتاب المحتضر من أنّ المختار بعث إلى علي بن الحسين مائة ألف درهم فكره أن يقبلها منه وخاف أن يردها فتركها في بيت فلما قتل كتب إلى عبد الملك يخبره بها فكتب إليه خذها طيبة هنيئة، فبعيد عن الصّواب من وجوه ثلاثة:

أ- لم نعرف رجال الحديث لننظر حالهم في كتب الرّجال.

ب- لم تكن لعبد الملك يوم قتل المختار سلطة يخافها الإمام السّجاد وإنما الحكومة لابن الزّبير فالخوف منه ومكاتبته أنسب بالمقام من مكاتبة عبد الملك.

ج- لم تكن كراهية الإمام لقبول الهدية نقمة منه على المختار وإنما هو خوف السّلطة الغاشمة المتحكمة في الحجاز، فأراد الإمام أن ينبه بذلك على عدم الرّابطة بينه وبين المختار، وإنّه خارج عن طاعته في نهضته بالكوفة، ولو كان الإمام ناقماً عليه في الواقع لكان اللازم قبوله الهدية من باب استنقاذه الحق من أيدي المتغلبين عليه، كما كان يفعله آباؤه مع من ملك في أيّامهم لأنّهم يرون أنّ ذلك المال المتغلب عليه حقهم المدفوعين عنه فإذا رفع الحجز عنه فلا موجب لرده في حين لم يكن الأخذ ترويجاً لمذهب الباطل، لإمكان تنبيه الملأ سراً بفساد نية ذلك المتغلب، فكان على السّجاد في هذا الحال قبول المال وتعليم النّاس سراً بخبث سريرة المختار إن كان يخاف من سلطته على أنّه لا يشك كلّ أحد في عدم خوفه من سلطة المختار لانحيازه عن العراق ولم يكن المختار قادراً على أن يصيب المدينة وأهلها بسوء.

ومن هنا يتجلى المراد من خوفه من ردها، فإنّ السّجاد لم يخف بوادر المختار وإيذائه فلا تقية أصلاً نعم السّر فيه هو اتقاء ألفت في عضد المختار وعدول النّاس عنه من دون تبصر ووقوف على الحقيقة فكان أخذه(عليه السلام) المال تنشيطاً لعزيمة المختار وأخباره سلطان الوقت للأمن من بوادره وتفيهماً له بانحيازه عن كلّ ثورة وهياج.

ابن حجر في الإصابة:

اندفع ابن حجر واندلع لسان غضبه ورام الحط من مقام المختار بشواهد أقامها هي أوهن بين العنكبوت في مقام العرفان والتّمحيص، فحدث في «الإصابة» عند ترجمة المختار عن موسى بن إسماعيل عن أبي عوانة عن المغيرة بن ثابت بن هرمز قال: حمل المختار مالاً من المدائن من عند عمّه إلى «علي» فأخرج كيساً فيه خمسة عشر درهماً، فقال هذا من أجور المومسات، فقال له علي: ويلك مالي وللمومسات ثمّ قام وعليه مقطعة حمراء فلما سلم قال علي: ماله قاتله الله لو شق عن قلبه لوجد ملآن من حب اللات والعزى.

بهذا يحدث عن موسى بن إسماعيل الّذي يقول فيه ابن خراش كما في تهذيب التّهذيب، وميزان الاعتدال، تكلم النّاس فيه فهو من المتروكين ومثله ثابت بن هرمز قال في ميزان الاعتدال عده ابن الجوزي من المجهولين ومما يؤيد كذب الحديث حكاية حمل أجور المومسات من عند سعد بن مسعود

ذلك الّذي اتفق علماء الرّجال على نزاهته عن كلّ سيئة ودنية فكيف يليق بمثله حمل أجور المومسات إلى علي(عليه السلام) في حين يعلم حرمتها.

ولم يكتف ابن حجر بذلك حتّى نقل عن صحيح مسلم عن أسماء بنت أبي بكر عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنّه قال: يكون في ثقيف كذاب ومبير وشهدت أسماء بأنّ الكذاب هو المختار، هذا كلامه في الإصابة، ولقد أوقفني موقف الحيرة في عقيدة المختار عندما أراه الأوّل في صف العلماء والمؤرخين المؤتمنين على إيداع الأحاديث في جوامعهم كما جاءت بلا تصرف وتذييل حسب الميول والشّهوات، وإن توقفت في الاعتماد على شهادة تلك الصّحابية لأنّها لم تكن مستندة على سماع من النّبي(صلى الله عليه وآله)، ولكن بعد أن راجعت صحيح مسلم وقرأت الحديث إلى آخره عرفت خيانته في النّقل وتصرفه في الأحاديث كما يقتضيه هواه، وانكشف لي كيف يذهب البغض والعداء بالأكابر إلى حيث اختلاق الباطل والبهتان فيشوهون تلك الكتب العالية الشّأن بالخرافات والأضاليل، وإليك الحديث بنصه ومنه تعرف الزّور في نسبة الشّهادة إلى الصّحابية بأنّ الكذاب هو المختار حدث مسلم في باب ذكر كذاب ثقيف من «الصّحيح» 274/2: عن عقبة بن مكرم العمى عن يعقوب بن إسحق الحضرمي عن الأسود بن شيبان عن أبي نوفل قال: رأيت عبدالله بن الزّبير على عقبة المدينة -مصلوباً- فجعلت قريش تمر عليه حتّى مر عليه عبد الله بن عمر بن الخطاب وقال السّلام عليك يا حبيب السّلام عليك يا حبيب السّلام عليك يا حبيب أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا أما والله إن كنت ما علمت صواماً قواماً وصولاً للرحم أما والله لأمّة أنت شرها لأمّة خير ثمّ نفذ عبد الله بن عمر فلما بلغ الحجاج موقف عبد الله وقوله أرسل إليه فأنزله عن جذعه فألقي في قبور اليهود ثمّ أرسل إلى أمّه أسماء بنت أبي بكر فأبت أن تأتيه فأعاد عليها الرّسول لتأتيني أو لأبعثن عليك من يسحبك بقرونك فأبت وقالت والله لا آتيك حتّى تبعث إلي من يسحبني بقروني فقال أروني سبتي فأخذ نعليه ثمّ انطلق حتّى دخل عليها فقال كيف رأيتني صنعت بعد والله قالت أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك بلغني تقول له يا بن ذات النّطاقين أنا والله ذات النّطاقين أمّا أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله وطعام أبي بكر عن الدّواب وأمّا الآخر فنطاق المرأة الّتي لا تستغني عنه أمّا أنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) حدثنا أنّ في ثقيف كذاباً ومبيراً أمّا الكذاب فرأيناه وأمّا المبير فلا أخالك إلا إيّاه فقام منها ولم يرجع لها.

هذا لفظ الحديث بنصه وأنت إذا تأملته لا تجد فيه شهادة بأنّ الكذاب هو المختار أهلاً يحتمل أنّها كانت تعني الحجاج ولكنها بهمت خوفاً منه، أو أنّها تعني غيرهما من رجال ثقيف، ألم يكن فيهم المغيرة بن شعبة ذلك الخداع الّذي يقول لو خرج النّاس من باب لخرجت من ألف باب، أليس فيهم الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلمة الثّقفي الملعون على لسان «علي»، أليس فيهم المغيرة بن الأخنس بن شريق القائل لعثمان أنا أكفيك علياً، فقال له علي «يا بن اللعين الأبتر، والشّجرة الّتي لا أصل لها ولا فرع، أنت تكفيني فوالله ما أعز الله من أنت ناصره، ولا قام من أنت منهضه، اخرج عنا أخرج الله نوأك ثمّ أبلغ جهدك فلا أبقى الله عليك إن بقيت»، أليس فيهم أخوه أبو الحكم بن الأخنس بن شريق الّذي قتله علي يوم أحد كافراً[1]، وحينئذ من أين نعرف أنّها كانت تعني بتلك العبارة المبهمة خصوص المختار الثّقفي، وكيف ساغ لذلك الأمين على الآثار الافتراء على الصّحابية بتلك النّسبة الكاذبة نعم لها وللمختار معه موقف أمام محكمة الجزاء «فينظر يومئذ لمن الفلج».

ومن الغريب العجيب أنّ ابن أبي الحديد لم يتروّ في الحديث فيعرف مغزاه وغرته طنطنة الرّجل وأمثاله فسار على أثره وجزم بأنّ المراد من الكذاب هو المختار والمبير هو الحجاج[2]، ونحن بعد أن قرأنا نص الحديث فما وجدنا فيه تصريح ولا قرينة تفيدنا بالمراد من الكذاب فإذاً لا نستطيع أن ننسب الكذاب فيه إلى المختار.

من هذا الزّور والبهتان المودع في تلك الجوامع المنفردة في بابها ارتفعت الثّقة عن كلّ كتاب نحفظ لصاحبه الحنق على شيعة أهل البيت المنتصرين لهم في السّر والعلانية ولم تبق لها أهمية النّظر والاعتماد لذلك كان الإعراض عما فيها أحرى وأنسب بشأن العرفان النّزيه عن مثل تلك الزّخارف والسّفسطة ولكن حيث سلكه في هذه التّرجمة ملاحظة الشّبهات والطّعون الّتي تمسك بها المخالفون واتخذوها وسيلة للحط من مقام أولئك المتقين حلفاء الحق والرّشاد أحببت أن أقدم أمام القراء ما وصل إلينا من المطاعن وأعقبه بما هنالك من الملاحظات، فمن ذلك ما ذكره ابن حجر عند ترجمة المختار من «الإصابة» من أنّه كان في أوّل أمره خارجياً ثمّ صار زيدياً ثمّ صار رافضياً.

هلموا بنا أيّها القراء الكرام لنتأمل في هذه الجملة الواقعة في خلال هذا الحكم الغير مستند على أساس وثيق ونعرف آنئذ كيف ضاعت الحقائق الرّاهنة وتكثرت المجازات ولنصرخ بصوت واحد أمام محكمة الوجدان من أين صار المختار زيدياً وهذه النّسبة بنص المؤرخين إنما حدثت بعد ظهور «زيد بن

(1) شرح النّهج الحديدي: صلى الله عليه وآله وسلم.
(2) المصدر نفسه.

علي» وقد ولد زيد في سنة قتل المختار، نعم الأساس الوثيق في هذا الحكم قربه من أهل البيت وإبادته أعداءهم فإنّهما شاهدا عدل على ذلكالحكم الغريب والغريب جداً.

مسند أحمد بن حنبل:

وعلى هذا الوتر أخذ أحمد بن حنبل يضرب ويترنم في «المسند» بأحاديث اشتملت على رجال الباطل وحفاظ الأكاذيب، قال في 223/5: حدثنا بهز بن أسد عن حماد بن سلمة عن عبد الملك بن عمير عن رفاعة بن شداد قال كنت أقوم على رأس المختار فلما تبينت كذابته هممت وأيم الله أن أسل سيفي فأضرب عنقه حتّى ذكرت حديثاً حدثنيه أخي عمرو بن الحمق قال سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول من آمن رجلاً على نفسه فقتله أعطي لواء الغدر.

وحدث عن ابن نمير عن عيسى القاري أبو عمر بن عمر عن السّدي عن رفاعة قال دخلت على المختار فألقى إليّ وسادة وقال لولا أنّ أخي جبرائيل قام من هذه وأشار إلى الأخرى لألقيتها لك قال فأردت أن أضرب عنقه فذكرت حديثاً حدثنيه عمرو بن الحمق قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) أيما مؤمن آمن مؤمناً على دمه فانا من القاتل بريء.

هذا ما زين به «المسند» من الطّعن بالمختار، ولا يسع كلّ أحد المصادقة على واحد منهما، فإنّ في الأوّل حماد بن سلمة، وعبد الملك بن عمير، ومن يقرأ ترجمتها في تهذيب التّهذيب لابن حجر وميزان الاعتدال للذهبي يعرف إعراض علماء الرّجال عن الأخذ بأحاديثهما، ويقولون في الثّاني سيء الحفظ وقد انفرد بأحاديث متناً وإسناداً وربما يحدث بالحديث المنكر، وفي الثّاني السّدي وقد حكم عليه بالكذب والنّفير بالرّأي والضّعف بالحديث جماعة كثيرة من علماء الرّجال والحديث كابن معين والعقيلي وأبي حاتم والطّبري والشّعبي وليث يحدث عنهم ابن حجر في تهذيب التّهذيب والذّهبي في ميزان الاعتدال، فهل يمكن الاعتماد على أحاديثه، وكيف تحصل الثّقة بذلك الكذاب.

على أنّ الحديث الثّاني مضطرب الأوّل والآخر، فإنّ الصّدر يفيدنا كون المختار شريكاً «لمسيلمة وسجاح» لإدعائه النّبوة بدعوى نزول الأمين جبرائيل عليه ذلك الّذي لا يهبط إلا على نبي مرسل.

وأمّا الذّيل فيثبت له الإيمان، فالحديث يحتاج أن يعمل السّدي فيه آراءه الفاسدة ويخلطه بمنكراته ليتفق صدره وذيله، وإلا فكيف يثبت الإيمان لرجل يدعي النّبوة.

ومما يزيد في كذب هذا الحديث، إنّ رفاعةبن شداد قاتل مع المختار حتّى قتل وكان يقول[1]:

أنا ابن شداد على دين علي
لست لعثمان بن أروى بولي
لأصلين اليوم فيمن يصطلي
بحرّ نار الحرب غير مؤتلي

فإنّه لو لم ير المختار صادقاً في دعواه لما وطن نفسه على الموت دونه.

لقد شاعت هذه النّسبة بين المؤرخين من دون روية وتفكير في مغزى تلك الكلمة لو صحت منه، وبعد أن نعرف أنّه بصدد اجتذاب القلوب والتّاليف بين النّاس على طبقاتهم ومقادير عقولهم[2]، فمنهم من يخاطبه بأنّ الملك يأتيه بالوحي ومنهم من يسترضيه بذكر فضائل أهل البيت والتّوجع لما أصابهم يوم الطّف حتّى استأجر نوائحاً يجلسن على باب عمر بن سعد ويبكين الحسين(عليه السلام) فجاء إلى المختار حفص بن عمر بن سعد وقال: ما بال النّوائح يبكين على باب أبي، فقال: إنّ الحسين أهل للبكاء عليه، قال له: أصلحك الله إنههنّ عن ذلك قال نعم ثمّ بعث أبا عمرة وجاءه برأس عمر وحفص واقف أمامه[3]، من كلّ ذلك نعرف نزاهته عما يمس بكرامته ويحط من شأنه، على أنّ المرزباني يحدث في كتاب «الشّعراء» بأنّ للمختار غلام اسمه جبرائيل فكان كثيراً ما يقول قام من عندي جبرائيل وجاءني جبرائيل فحسبه العامة ومن لا بصيرة له بالتّورية ومقاصد الرّجال أنّه يعني «الروح الأمين» فشاع بينهم ذلك وتشبث به من يريد الطّعن عليه.

حديث الكرسي:

من هذا القبيل حديث الكرسي والطّيور، يقول ابن جرير: خطب المختار أصحابه فقال: لم يكن في الأمم الخالية أمر إلا وهو كائن في هذه الأمّة مثله وأنّه كان في بني إسرائيل التّابوت فيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون وإنّ هذا فينا مثل التّابوت[4] الّذي في بني إسرائيل فضعوه في حومة الحرب فإنّه من ذخائر علي بن أبي طالب[5] فأخرج وغشي بالجرير والدّيباج وسدنه موسى بن أبي موسى الأشعري من شيعة المختار وكان من النّاقمين على أهل الكوفة فعلهم بابن بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله)، فإنّ أمّه أمّ كلثوم بنت الفضل بن العبّاس بن عبد المطلب ولما عتب عليه وكثر اللوم والكلام ترك سدانة الكرسي وتولاها حوشب البرسمي حتّى قتل المختار وفي هذا

(1) تاريخ الطّبري: عليه السلام/عليه السلام عليه السلام.

(2) مروج الذّهب: عليه السلام/عليه السلام عليه السلام.

(3) العقد الفريد: عليه السلام/صلى الله عليه وآله/عليه السلام، عند ذكر المختار.

(4) تاريخ الطّبري: عليه السلام/عليه السلام/صلى الله عليه وآله/عليه السلام.

(5) كامل المبرد: عليه السلام/عليه السلام/صلى الله عليه وآله/عليه السلام.

الكرسي يقول أعشى همدان:

شـــهدت عليـــكم أنّكـــم ســـبئية
وأنّـي بكـم يـا شـرطة الـشّرك عـارف
وأقـــسم مـــا كرســـيكم بـــسكينة
وإن كـــان قـــد لفـــت عليـــه اللفـــائف
وأنّ لـــيس كالتّـــابوت فينـــا وإن
ســعت شــبام حواليــه ونهــد وخــارف
وإنّـــي امـــرؤ أحببـــت آل محمّـــد
وتابعـــت وحيـــاً ضـــمنته المـــصاحف
وتابعـــت عبـــد الله لمـــا تنابعـــت
عليـــه قـــريش شـــمطها والعطـــارف

وقال المتوكل الليثي:

أبلـــغ أبـــا إســـحق أن جئنـــه
أنّـــي بكرســـيكم كـــافر
تنـــزوا شـــبام حـــول أعـــواده
وتحمـــل الـــوحي لـــه شـــاكر
محمـــرة أعيـــنهم حولـــه
كـــأنهن الحمـــص الحـــادر

حديث الطّيور:

يقـول الزّمخـشري فـي ربيـع الأبـرار فـي بـاب الاحتيـال والمكيدة والمبرد في الكامل 150/3، لما توجه إبراهيم الأشـتر إلى حرب بن زياد دفـع إلـى خاصـته حمامـاً أبيـضاً وقـال إذا رأيتم الأمر عليكم أرسلوها ثمّ خطب النّاس فقال: إنّي أجـد فـي محكم الكتـاب وفـي اليقـين والـصّواب أنّ الله ممـدكم بملائكـة غضاب تأتي في صـورة الحمـام تحـت الـسّحاب، فلمـا تقابـل الفريقان واشتد القتال وكادت الـدّبرة أن تكـون علـى أصـحاب إبراهيم أرسلوا الحمام فتصايح النّاس الملائكة الملائكـة فكـروا عليهم وأكثروا القتل في أصحاب ابن زياد حتّى قتل ابن زياد.

هذا حديث الطّيور والكرسي أيّها القارئ النّبيـه الّـذي مـلأ سمعك لغط المتهوسين به للتنديد بمقـام شـيخ الثّـار الّـذي لـم يقترف ذنباً غير تطهيره الأرض من أولئك الأرجاس قتلـة أولاد النّبيين، وأي نقص يلحق المختار من ذلك بعـد أن كـان بـصدد الغلبة على جمعية السّوء والضّلال ولا يمنع العقل ولا الشّرع أن يتخـذ الرّجـل الوسـائل والتّـدابير اللازمـة للغلبـة علـى أعدائـه وتقوية عزيمة أصحابه ليكونوا متكاتفين كالجبـال الـشّم أمـام العدو فينال بذلك غرضه المقصود له خصوصاً فـي مثـل هـذا الموقف الّذي حصل به استئصال شـافة أولئـك الطّغـاة، وبـه ارتفع الحداد عن مخدرات الرّسالة، ففي حديث فاطمة ابنة علـي ما تحنت امرأة مناولاً أجالـت فـي عينهـا مـروداً ولا امتـشطت حتّى بعث المختار برأس ابن زياد، ويقـول الـصّادق(عليه السلام): مـا اكتحلت هاشمية ولا رؤي الدّخان في بيت هاشمي خمس حجج حتّى قتل ابـن زيـاد، وفـي حديثـه الآخـر حتّـى بعـث المختـار برؤوس الّذين قتلوا الحسين، وناهيك رفعة شأن ومزيد شـرف بمن يعتذر عنه الإمام «الباقر» عند قتله عمر بن سعد[1] بعـد أن طمنه بالأمان أن لا يمسه بسوء ما لم يحدث حدثاً، فيقـول: أراد إذا دخل الخلاء فأحدث[2].

نسبة الكذب إليه:

لقد جد أهل الكوفة واجتهدوا في وضع المثالـب والطّعـون في مقام المختار وأكثروا من قولهم: مفتعـل كـذاب، ولا غرابـة بعد أن أيتم أطفالهم وأرمل أزواجهم وقتل الرّؤساء والصّناديد وهـدم الـدّور وخـرب الـضّياع كـلّ ذلـك ممـن شـرك فـي دم الحسين، حتّى أنّه أمر صاحب شرطته «أبا عمرة» أن يجمع لـه ألفاً من العملة لهدم دور من خرج لحرب الحـسين، وكـان بهـم عارفاً[3] ففعل ذلك فكلّ دار خراب بالكوفة فهي مما هـدمها أبـو عمرة وكان أهل الكوفة بعد ذلك يضربون المثـل بفقـر الرّجـل فيقولون «دخل بينك أبو عمرة»، وكانـت العبيـد تقتـل مـواليهم ويأتون إليه فيعتقهم بعد أن يدفع له مال مولاه.

لقد أوجبت تلك النّسبة الكاذبـة توقـف بعـض المـؤرخين فهي من دون اعتماد على أصل صـحيح مـن تـاريخ وثيـق، أو حديث معتبر، سوى أنبـاء روائيـة بقيـت فـي الأسـاطير مثالـب لأناس طيبين فاغتر بها بعض المحدثين حينما وقف عليهـا إمـا غفلة منه عن كونها مـن وضـع الكـذابين أو غـرة وتوسـع منـه حسبه أفاضه في العلم أو سذاجة يذعن معها بكلّ ما يقال فيه.

كتاب تنزيه الأنبياء وتاريخ الطّبري:

من هنا يمكننا أن نعـرف الـسّر فيمـا أرسـله علـم الهـدى السّيد المرتضى في كتابه «تنزيه الأنبياء» وحدث به ابـن جريـر في التّاريخ 91/6 عن عثمان بن عبـد الحميـد أو عبـد الـرّحمن المجازي الخزاعي أبو عبد الرّحمن عن إسماعيل بن راشـد: أنّ المختار أشار على عمّه سعد بن مسعود وكان عامل علي(عليه السلام)

(1) قال ابن سيرين كان علي يقول لعمر بن سعد كيف بـك إذا قمـت مقامـاً تخير في بين الجنة والنّار وقال عبد الله بن شريك أدركت أصحاب الأردية المعلمة وأصحاب البرانس السّود من أصحاب السّواري إذا مر بهم عمر بن سعد قالوا هذا قاتل الحـسين وذلـك قبـل أن يقتلـه «كامـل ابـن الأثـر صلى الله عليه وآله».

(2) تاريخ الطّبري: صلى الله عليه وآله/صلى الله عليه وآله

(3) الأخبار الطّوال ص صلى الله عليه وآله صلى الله عليه وآله

على المدائن وقد نزل الحسن هنالك باستيثاق الحسن(عليه السلام) وتسليمه إلى معاوية ليحض بالشّرف والغنى فانتهره عمّه وقال له قبحك الله من شاب تريد أن أوثق ابن بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم).

فإنّ السّر فيه ليس إلا أقوال هؤلاء المؤرخين وتلك الأحاديث المشتملة على مجهول الحال أو كذاب مفتر، وأمّا حديث الطّبري ففيه إسماعيل بن راشد وعبد الرّحمن المجازي ولم يتعرض لهما علماء الرّجال فهما من المجاهيل ولا يعتمد على حديثهما في شيء من المدح والذّم.

ولو سلمنا صحة النّقل فلماذا لا يحتمل فيه أنّه أراد اختبار عمّه في نفسيته بذلك القول وخشي أن يجره الهوى ويغويه حب المال حينما سادت الأهواء والمطامع وخارت العزائم عن نصر الهدى، فلقي شريك الأعور، وكان من كبار الشّيعة له رأي وسداد فقص عليه الرّأي وسأله وجه الحيلة إن بدرت من عمّه بادرة فأشار عليه شريك بأن يسر إلى عمّه ما يوافق تلك الهاجسة من الغدر بالحسن(عليه السلام) طلباً لمرضاة معاوية فإن وافق على ذلك عملوا عندها التّدابير وأخرجوا الإمام إلى جهة من الجهات فلما أسر المختار ذلك إلى عمّه شاهد منه ما تقادم فيه من الولاء الخالص لآل محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) فحصلت بذلك أمنيته واطمأن قلبه بسلامة عمّه من هذا الدّاء[1].

ولو تنازلنا إلى الموافقة على تلك المقالة لعمّه وحكمنا بخروجه عن الولاء لأهل البيت فلا يسعنا المجاراة على إبقاء الرّجل عليه إلى آخر نفس لفظه فإنّ قضية نصوص أئمّة الدّين من أهل البيت، ومصارحات العلماء الأعلام حسن حاله وجلالته ورفعة مقامه فلا بد على فرض نقصه في البدء من القول بكماله في الأخير، يدلنا على ذلك أعماله النّاصعة وأقواله المقرونة بقرائن الصّدق ونهضته الكريمة ودعاء أئمّة الهدى له بالخير والنّهي عن سبه ولعنه ومدافعة علماء الدّين عنه، ولم يستنكر المتعنت هداية المختار في سنين متطاولة بعد أن ثبت في التّأريخ الصّحيح هداية جماعة ناقصين أكملتهم المقادير وحداهم التّوفيق إلى التّسليم بالموالاة لأهل البيت(عليهم السلام).

لا بدع في كلّ ما قيل في المختار من المفتريات بعد أن نشاهد هفوات القلة وتوسع المكثرين في جماعة من رجالات الشّيعة وزعماء الأمّة كزرارة بن أعين الأمين على الدّين والدّنيا، ويونس بن عبد الرّحمن القمي، ومؤمن الطّاق، وهشام بن الحكم، إلى كثير من نظرائهم، فالمختار كواحد من هؤلاء الأعيان ثقات الأئمّة وأكابر الأمّة.

نسبة الفرقة الكيسانية إليه:

إني لا أخالك أيّها القارئ الكريم بعد الوقوف على ما ذكرناه ترتاب في افتعال ما ينسب إلى المختار من الطّعون الفارغة عن أصل صحيح ولم يقصد بها إلا تشويه سمعة الرّجل عند شيعة علي وولده(عليهم السلام)، كما لا أظن انتساب الفرقة الكيسانية إليه تجلب لك شكاً في ولائه الصّريح للإمام زين العابدين وآبائه الطّاهرين، بعد ما يحدث ابن داود في رجاله: بافتعال تلك النّسبة وأنّها منتسبة إلى كيسان مولى علي بن أبي طالب، ولو سلم انتسابها إلى المختار، فلا توجب تلويث ساحته والحط من موالاته، وإلا لجرى ذلك في حق إسماعيل بن الصّادق، لانتساب الفرقة الإسماعيلية إليه.

على أنّا لم نجد في المصادر الموثوق بها شيئاً من ذلك، فهذا شيخ الطّائفة أبو جعفر الطّوسي ذكر في «الغيبة» الفرقة الكيسانية ولم يذكر انتسابها إلى المختار والسّيد الجزائري في «الأنوار النعمانية» ذكر جملة من الفرق ومنها الكيسانية ولم يذكر انتماءهم إلى أحد، مع ذكره لكثيرين تعزى إليهم المذاهب، وهذا السّيد مرتضى الرّازي في «تبصرة العوام» ذكر أنّ الفرقة الكيسانية تزعم أنّ أبا مسلم الخراساني منها وقال أنّه غير صحيح ولم يذكر المختار أصلاً، وأمّا ما جاء في «الفصول المختارة» لعلم الهدى السّيد مرتضى: إنّ أوّل من شذ عن الحق الفرقة الكيسانية وهم أصحاب المختار، فليس فيه دلالة على أنّه صاحب هذا المذهب وإنما فيه دلالة على أنّ الّذين نهضوا معه وتابعوه على أخذ الثّار هم الكيسانية الّذين أحدثوا هذا الرّأي بعد موت المختار، هذا بعض مما كتبناه في «تعريف المختار» وفيه كفاية لمن تدبر ووعى والعاقبة للمتقين، والحمد لله رب العالمين وسلم تسليماً كثيراً.

* * *

(1) حكاه العلامة ميرزا محمّد علي الأردبادي في رسالة المختار عن مجالس المؤمنين عن الشّيخ عبد الرّزاق الرّازي في كتاب نقض الفضائح.